

اللجنة الاستشارية العليا للعمل
على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
إدارة البحوث والمعلومات
وسائل التربية الإسلامية
أ.د. عجيل جاسم النشمي
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

طبعة خاصة باللجنة الاستشارية العليا
1416 هـ - 1995م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام علي رسول الله ، وآله وأصحابه ،
ومن وآله ، وبعد،،

فإنه يسر إدارة البحوث والمعلومات في اللجنة الاستشارية
العليا للعمل علي استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أن
تقدم للمسلمين ، في هذا البلد الكريم بعض القطوف اليانعة من
أفكار العلماء العاملين ، المستفادة من معين هذا الدين الحنيف ،
لتكون زاداً للروح والجسد والدينا والآخرة ، وعوناً لهم علي وعي
هذا الدين ، وتمكيناً لهم من محبته ، وتهيئة للأجواء الصالحة التي
تأخذ بيد الجميع إلي تطبيق أحكام هذا الشرع الحنيف .

وقد سبق للإدارة - قياماً برسالتها - أن نشرت تحت سلسلة
تهيئة الأجواء خمس رسائل لاثنين من العلماء الأعلام ، وهما
الدكتور يوسف القرضاوي ، والدكتور محمد سعيد رمضان البوضي

وها هي اليوم تقوم بنشر أربع رسائل أخري للدكتور عجيل
جاسم النشمي عضو اللجنة الاستشارية العليا ، ورئيس اللجنة
التربوية ، وعميد كلية الشريعة في جامعة الكويت ، في مجال
التربية تحت نفس تلك السلسلة ، وكل رسالة منها تحمل عنواناً
مستقلاً .

وسائل التربية الإسلامية

ويركز المؤلف في هذه الرسالة علي إبراز عدد من الوسائل
التربوية ، ويبين أثرها في تنشئة الشباب وإصلاح حالهم كالقدوة
الصالحة ، والتربية بالأحداث والوقائع ، والتربية بالعبادة ، وإحياء
الضمير ، والموعظة ، والترغيب والترهيب ، وغير ذلك من الوسائل
التي سوف تراها في هذا البحث المبارك إن شاء الله تعالى .

نسأل الله أن ينفع المسلمين ويرفعهم ، ويرحم شهداءهم
وفيك أسراهم إنه علي ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

إدارة البحوث والمعلومات

المؤلف في سطور

اسم : عجيل جاسم سعود النشمي .

- من مواليد الكويت عام 1946 م بدأ تحصيله العلمي في مدارسها إلي أن حصل علي الشهادة الثانوية (المعهد الديني)
- واتم دراسته في كلية الشريعة والقانون - بجامعة الازهر في جمهورية مصر العربية ن فنال شهادة الليسانس في الشريعة والقانون في 5/1971م
- ثم حاز علي شهادة الماجستير في أصول الفقة 9/1974م في الكلية المذكورة - نال درجة الدكتوراه في أصول الفقه - بتقدير امتياز - بتاريخ 11/1977م جامعة الازهر .
- عمل فضيلة المؤلف معيداً مقيماً في كلية الحقوق والشريعة جامعة الكويت ، ثم معيد بعثة حتي 3/1/1978م.
- عين في 1/1/1978م مدرساً بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية - بكلية الحقوق . ثم مساعداً لعميد الكلية 1* 9/1982م.
- حصل علي لقب أستاذ مساعد بتاريخ 13/10/1984م ثم علي لقب الأستاذية بقسم الفقه والأصول بتاريخ 13/12/1993م.
- عين عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة الكويت في 17/12/1989م.
- الكتب والأبحاث والدراسات المنشورة :
 - o للمؤلف العديد من الأبحاث والدراسات في أصول الفقه والتربية والتاريخ والثقافة العامة . منها
- 1- تحقيق كتاب (الفصول في الأصول) للإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص
- 2- الإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص (دراسة شخصية) .
- 3- المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي .

- 4- معالم في التربية الإسلامية ، والتي منها أخذت هذه الرسائل التي بين يديك .
- 5- طب القلوب للإمام ابن تيمية .
- 6- طب القلوب - للإمام ابن قيم الجوزية .
- ومن أبحاثه المنشورة في مجلات علمية محكمة :
 - 1- العملة وأحكامها في الفقه الإسلامي .
 - 2- تغير قيمة العملة في الفقه الإسلامي
 - 3- الحقوق المعنوية (بيع الاسم التجاري في الفقه الإسلامي)
 - 4- الدلالات اللغوية في أصول الفقه وتطبيقاتها في الشريعة والقانون .
 - 5- الاستحسان حقيقتة ومذاهب العلماء فيه .
 - 6- مقدمات علم أصول الفقه .
 - 7- التدرج في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية . مقدم لمؤتمر (حاجة البشرية إلي تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) كلية الشريعة - جامعة الكويت .
 - 8- وسائل التربية الإسلامية - بحث مقدم إلي (مؤتمر تهيئة الأجواء التربوية لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) اللجنة الاستشارية العليا - الديوان الأميري .
 - 9- القيم الخلقية بين النظرية والتطبيق . بحث مقدم في المؤتمر العشرين لجمعية المعلمين الكويتية .
 - ويرأس فضيلة المؤلف بعض اللجان العلمية والشرعية في الكويت إلي جانب عضويته في بعضها الآخر .
- 1- رئيس المكنز الآلي لبيانات الفقه الإسلامي بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وشركة صخر العالمية 1992م.
- 2- عضو اللجنة الاستشارية العليا للعمل علي استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية .

- 3- رئيس إحدى اللجان العلمية - الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف .
- 4- نائب رئيس لجنة الفتوي بوزارة الأوقاف
- 5- رئيس الهيئة العالمية لقضايا الزكاة - 1992م
- 6- عضو مجمع الفقه الإسلامي ممثلاً عن دولة الكويت - جدة
- 7- مؤسس وعضو الهيئة العلمية لإعداد المناهج الدراسية لكلية الدراسات العليا الشرعية لأوروبا ومقرها باريس .
- 8- رئيس الهيئة الشرعية لبيت الزكاة .
- 9- عضو لجنة (قاموس القرآن الكريم) في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 1988م.

وسائل التربية الإسلامية

المقدمة

إن التربية في المفهوم الإسلامي هي التأثير في باطن الإنسان وخارجه ، في روحه وعقله وجسمه ، وذلك لا يتم إلا بالوسائل التي يطلبها القرآن الكريم ويطبّقها النبي صلى الله عليه وسلم علي نفسه وصحابته ، ويوم يترك الناس لشأنهم يربون أنفسهم وغيرهم حينئذ تصطدم الفطر بواقع اجتهادي محدود ويصطبغ المجتمع بأشكال من الفوضى الفكرية والتنظيمية والأخلاقية . ولذا كانت الأديان هادية الإنسان إلي الفطرة السلمية والدين القويم وجاء الإسلام خاتمة الأديان يحاكي فطرة الإنسان كأسمى ما تكون المحاكاة ، ويرسم له التربية الروحية والعقلية والجسدية ، ويربطه بخالقه ويتعبده بعقيدة وشريعة ربانية تحدد له منهج حياته كلها من أولها حتى نهايتها وفي حقيرها وجليلها . ولما كان الناس المخاطبون بشراً لهم طاقات بشر وصفات بشر ناسب أن تكون التربية وأسلوبها ووسائلها مما يدخل في مقدرتهم وتتقبله نفوسهم وتنصاع له مشاعرهم ، وقد اهتم الإسلام بالوسائل التربوية أيما اهتمام ، وتعددت وسائله في ذلك ، وستنقصر علي أهم هذه الوسائل

الوسيلة الأولى القدوة

إن القدوة هي أرقى أنواع التربية ، فالقدوة واقع حي ملموس يدعو إلي الامتثال بالعمل قبل القول ، ولذا فإن التربية بالقدوة أبلغ وأكثر تأثيراً من التربية بالمقال ، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال .

فالمنهج العقدي أو الفكري يظل كلاماً يتلقى من فاه إلي فاه ، ولا يكون حقيقة إلا إذا ترجم إلي واقع حي ملموس يضيف علي صاحبه صفة التميز وشدة الانتباه لكل مايقول .
وبعث الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليقوم بهذا الدور المتميز وهو بشر من البشر وهو أسوة بما هو في مقدورهم وفي مكنتهم .

لقد كان لكم رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً

فهنا يبين الباري عز وجل للناس أسوتهم رسول الله وهدفهم من الحياة وغايتهم منها في أنها رجاء الله ومثوبته .

وبين الوسيلة الموصلة لهذه الغاية في أنه رسول الله صلى

الله عليه وسلم حين يكرر الناس سيرته في ذواتهم ويتمثلوا شخصه بأشخاصهم في تنفيذ مقاله واتباع نهجه وتحقيق ما يدعو إليه بالجوهر والشكل والصورة التي دعي لها وطبقها صلوات الله عليه وسلامه ، فهو الأمين علي وحي السماء .

وهو الذي ارتضاه الله لنا مؤدباً وهادياً بإذنه ونبياً ورسولاً ،

وصاغه بوحيه وقرآنه حتي قالت عائشة حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن فكان الناس

يرون في شخص النبي

صلي الله عليه وسلم الدعوة متحققة في واقع الأرض وما علي الناس إلا أن يسيروا سيره ويقتفوا أثره . ولم يحدد الله عز وجل اقتداء الناس واهتداءهم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم وإنما جعل هذا النبي قدوة حية حتي يرث الله الأرض ومن عليها (وما

أرسلنك إلارحمة للعلمين) (وما أرسلنك إلاكافة للناس بشيراً
ونذيراً)

وينظر الناس إلی هذه القدوة فی كل زمان وفی أي مكان
ویأخذ منها المؤمنون منهج حیاتهم .

الوسيلة الثانية التربية بالأحداث

إن الحياة عبارة عن أحداث متكررة ومتعاقبة وكل حدث يترك في النفس أثره وقد تمر علي الإنسان في حياته حوادث ومواقف كثيرة وقد لا يستفيد منها الاستفادة القصوي ، ويعتبرها حادثاً عاجلاً قد لا يعنيه من قريب أو من بعيد .
ولكن القرآن الكريم انتقل من هذا التصور الخاطيء لحوادث الأيام والأزمان وارتقى به إلي مصاف التربية النفسية والسلوكية والوجدانية وجعل من الحوادث دروساً تصيغ الواقع بمنهج جديد يحدث أثراً في النفس والوجدان لصاحب الحادث ولعموم المجتمع .

حادث الظهار :

انظر كيف يربي القرآن الكريم صاحبة رضوان الله عليهم في حادث خولة بنت ثعلبة حين غضب منها زوجها أوس بن الصامت يوماً فقال لها (أنت علي كظهر أمي) وهي عبارة كان يقولها الرجل في الجاهلية فتحرم عليه زوجه ، فذهبت خولة إلي النبي صلي الله عليه وسلم تشكو إليه زوجها وتطلب المخرج مما قاله فقالت يا رسول الله (أكل مالي وأفني شبابي ونثرت له بطني - كناية عن انتهاء الخلف - حتي إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني . اللهم إني أشكو إليك ما نزل بي فقال النبي صلي الله عليه وسلم ما أراك إلا حرمت عليه فرددت عبارتها حتي نزل قوله تعالى : (قد سمع الله قول التي تجدل لك في زوجها وتشتكي إلي الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)
لقد كان القرآن يحدث الرعيل الأول من صحابة النبي صلي الله عليه وسلم بأن الله يسمع ويرى وإنه يسمع دعاءهم وإنه ينزل العلاج ملموساً بينهم ، ويبين لهم أن التوجه لا يكون لأحد من خلقه إنما يكون الله وحده وأن الشكوي يجب أن ترفع من العبد مباشرة إلي ربه لا وسيط بينهما ، وبهذا يغرس القرآن الكريم هذا المعني التربوي العميق الذي يرتبط بالوحدانية والعبودية الله عز وجل ،

فإن الأحداث الواقعة في حياة الناس الله مطلع عليها ويريد من العباد أن يلجأوا إليه وحده في حلها فهو الذي يسمع الشكوي من عباده وهو الذي يتنزل بالحل الناجع .
حادث الإفك :

ثم انظر في حادث الإفك وكيف يستثمره القرآن الكريم استثماراً يتناسب مع عظم هذا الحادث في سورة هي منهج في الأخلاق ، والفضيلة والعلاقات العفيفة وآداب البيوت الطاهرة النظيفة ، إن حادث الإفك درس بليغ شمل أطهر بيت ، بيت النبوة ، فمس النبي صلي الله عليه وسلم رأس الجماعة المسلمة ونبي الأمة ورسولها وكفله الآلام النفسية العميقة ومس أبا بكر صديق النبي صلوات الله وسلامه عليه ورفيق دعوته ووالد زوجته ومس عائشة رضوان الله عليها أحب نسائه إليه وهي صاحبة الحادثة التي رميت في عرضها ومس صحابياً جليلاً من المجاهدين المعدودين صفوان بن المعطل ومس هذا الحادث المجتمع الإسلامي في المدينة شهراً كاملاً هو حديث الناس في بيوتهم ومنتدياتهم يجدر بنا أن نقف عنده لنرى كيف هز هذا الحادث أركان المجتمع المسلم على مر التاريخ نت هذا الحادث بتعميق الوعي وحفظ النفوس من المرض وصيانة المجتمع المسلم مما ينشأ فيه من طفيليات وأمراض وكيف العلاج منها .
ولنترك القرآن الكريم يقرر الواقعة ويبين ملامحها الهامة وكيفية الإفادة التربوية من الحادث الأليم .

يقول الله تبارك وتعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل أمري منهم ما أكسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)
هذه الآيات الكريمة تبين بوضوح عظم هذا الحادث الأليم الذي هز بيت النبوة الطاهر ، وهز المجتمع المسلم الناشئ ، ولعظم الحادث وبلاغة أثر ، فإن القرآن الكريم يستثمره بما يتناسب وهذا الأثر ، يستثمره استثماراً عجيباً فيلقب الصورة رأساً علي عقب ويجعل من منزلة المتهمين منزلة مرموقة ينظر إليهم

المجتمع علي أنهم القدوة الحية في المجتمع وتنظر إليهم الأجيال
بمثل هذه النظرة علي مر التاريخ ، ويسجل هذا الموقف القرآن
لتصحيح الأفكار و زرع التصورات وليبين أن هذا الحادث عاقبته خير
للمؤمنين ولا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم)
فهو خير من الله أن كشف لكم عن المنافقين والكائدين
للإسلام ، والنبى صلي الله عليه وسلم ولأهل بيته .
وهو خير أن يرسم الله للجماعة المسلمة عن طريق
المعايشة الحية يرسم لهم منهج الحلول لمثل هذه الحوادث التي
قد تتكرر علي الجماعات الإسلامية والدولة المسلمة . وهو في
ذات الوقت يحتسب الأجر لكل من عاني من جراء هذا الحادث من
ألم فأجره عند ربه في صبره علي بلواه .
وأما الذين ساهموا في هذا الإفك ، فلكل من الوزر بقدر ما
خاض (لكل أمرى منهم ما اكتسب من الإثم) والذي نزعهم هذه
الفرية له القسط الوفي من العذاب (والذي تولي كبرة منهم
لهعذاب عظيم)
وبين القرآن بهذه المناسبة الشاخصة الحية ، كيف تكون
المواقف قبل

الخوض في دقائقها (لولا إذ سمعته ظن المؤمنون والمؤمنات
بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) نعم . كان هذا هو الأولي أن
يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وأن يستبعدوا سقوط
أنفسهم في مثل هذه الحمأة ، وامرأة نبهم الطاهرة وأخوهم
الصحابي المجاهد هما من أنفسهم ، فظن الخير بهما أولي ، فإن
ما لا يليق بزوج رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يليق بصاحبه
الذي لم يعلم عنه إلا خيراً . كذلك فعل أبو أيوب خالد بن زيد
الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما - كما روي الإمام محمد بن
إسحاق : إن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أما تسمع
ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال : نعم ، وذلك
الكذب . أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ما كنت

لأفعله ، قال : نعم ، وذلك الكذب . أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟
قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك
ونقل الإمام محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره
(الكشاف) إن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب : ألا ترين ما يقال
؟ فقالت : لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله
صلي الله عليه وسلم سوءاً ؟ قال : لا ، (قالت : ولو كنت أنا بدل
عائشة رضي الله عنها - ما خنت رسول الله صلي الله عليه وسلم
فعائشة خير مني وصفوان خير منك . وكلتا الروايتين تدلان علي
أن بعض المسلمين رجع إلي نفسه واستفتي قلبه فاستبعد أن يقع
ما نسب إلي عائشة ، وما نسب إلي رجل من المسلمين ، من
معصيته الله وخيانته لرسوله صلي الله عليه وسلم وارتكاب حماة
الفاحشة ، لمجرد شبهة لا تقف للمناقشة .

هذه هي الخطوة لأولي في المنهج الذي يفرضه القرآن
لمواجهة الأمور ، خطوة الدليل الباطني الوجداني ، أما الخطوة
الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي :
(لو لا جاء وعليه بأربعة شهداء فإذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند
الله هم الكاذبون) وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلي
المقامات ، وأطهر الأعراض ، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهله
هينة وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بنية ، وأن تتقاذفها الألسنة
وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل (لو لا جاء وعليه بأربعة شهداء
(وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن ، كاذبون عند الله الذي لا يبدل
القول لديه ، والذي لا يتغير حكمه ولا يتبدل قراره ، فهي الوصمة
الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة منها ولا نجاة لهم من عقباها
هاتان الخطوتان : خطوة عرض الأمر علي القلب واستفتاء
الضمير . وخطوة التثبت بالبينة والدليل ، غفل عنها المؤمنون في
حادث الإفك ، وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهو أمر عظيم (لو لا لطف الله لمس
الجماعة كلها البلاء العظيم . فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدا
بعد هذا الدرس الأليم)

ثم يواصل القرآن الكريم استخراج الدروس والعبر الدقيقة في سياق القرآن الكريم فيبين أن قيم المجتمع المسلم يجب ألا تغيب عن ساحة المؤمنين فلا يتركوا للإشاعات مجالاً بينهم ولا يتركوا للألسنة تتناقل الأقوال بلا ترو ولا دليل ويبين أن الحكم ليست الأفواه وإنما هي العقول الراجحة والقلوب السليمة المؤمنة التي تقرض الخير والسلامة في المؤمنين والمؤمنات . ثم يدخل القرآن الأسلوب التربوي العميق في وسط هذه الكلمات الكبيرة المدلول إفك . وإثم ، وعذاب عظيم . وطلب الشهداء ، وعند الله هم الكاذبون وعذاب عظيم مرة ثانية ، وهو عند الله عظيم ، وبهتان عظيم ، في وسط هذا كله يبين القرآن للمؤمنين ثمرة هذا الحادث (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبد إن كنتم مؤمنين) إن الموقف التربوي المؤثر الذي يتكلم فيه صاحب الشأن جل وعز وبين رحمة وغفرانه ويلمس القلوب ويربط بين هذه الأمور مجتمعة ومنافاتها للإيمان . فاستحقاق الإيمان يقتضي نبذ كل هذه الأحاسيس والظن بالمؤمنين . وما دام قد بين هذا البيان فلا يحق للجماعة المؤمنة أن تعود لمثله في مسيرتها كلها (أبداً إن كنتم مؤمنين) إن القضية يجب أن لا تتكرر ما دام علي الأرض مؤمنون بالله ورسوله وأن يأخذوا حذرهم من هذا كله .

ويوم حنين :

(ويوم حنين لإذا أعجبتكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)

يوم حنين كان موقفاً صعباً علي النبي صلي الله عليه وسلم وعلي المسلمين موقف يغتر فيه المسلمون بكثرتهم وقوتهم ويركنون بعض الشيء لهذه المظاهر . ويريد الله عز وجل أن يستثمر هذا الموقف أفضل وأحسن استثمار . ويربي المسلمين من خلال هذا الحدث تربية عملية عميقة التأثير ، حتى وإن كانت هذه التربية علي حساب أرواحهم وأموالهم . حتى وإن كانت تصيب بالأذى شخص النبي صلي الله عليه وسلم ، فالموقف

الخاطيء من المسلمين يجب أن يتحملوا تبعته كي لا يتكرر مرة ثانية .

فيريد الله عز وجل أن يربي المسلمين علي أن الكثرة أو القلة ليست هي مقياس النصر عند الله عز وجل . فكما كانوا قلة في مكة وكانوا لا يملكون من الدنيا شيئاً . وكان أعداؤهم يملكون من الدنيا كل شيء ويفوقونهم في العدة والعتاد . ومع ذلك كان القرآن يربيهم بتلك المواقف التي تكلفت بالانتصار علي أن النصر بيد الله ما لجأ ولاذ به المسلمون وتركوا الله وحده يأذن بالنصر مهما تكن حسابات البشر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصبرين)

وأيقنوا وقتها أن الله عز وجل يتدخل في حسم الموقف لصالح القلة الصابرة المجاهدة ، فبعد أن يتحقق الصبر وتبرز معانيه حية في نفوس المسلمين وفي واقعهم يأتي من ثم نصر الله وتأييده (ثم أنزل الله سكينته علي رسوله وعلي المؤمنين وأنزل جنود الم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك علي من يشاء والله غفور رحيم) (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم)

وهنا أيضا في حال الكثرة والقوة في العدة والعتاد ينبغي الا يركن المسلمون إلي هذه المعاني المادية طرفة عين ولا أقل من ذلك . ولا يليق بهم أن يربطوا النصر بها ويقولوا : لن نغلب اليوم من قلة .

إنه موقف للتربية علي نفس المعني السابق ، فكما أنهم انتصروا يوم أن كانوا قلة بإذن الله ، كذلك هنا لن ينتصروا مع الكثرة إلا ب'ذن الله وكما تربوا هناك علي أن النصر يحدده الله عز وجل مع قلتهم وكثرة وقوة عدوهم ، كذلك هنا يحدده الله عز وجل مع كثرتهم وقوتهم وقلة عدوهم .

وهذا المعني الإيماني العميق يطرقه القرآن كثيراً ويذكر به المسلمين بين الفينة والأخرى ولكنه تذكير نظري ذهني . لا يكلف المسلمين جهداً ولا تعباً ، ولكنه هنا يثبت هذا المعني الإيماني عملياً وواقعياً وبصورة ترتسم في حس المسلمين الذين نالهم الألم وفي حس الأجيال التي تليهم ، وتبقي العبرة فيه شاخصة يستهل منها المسلمون رصيذاً إيمانياً ودروساً لمسيرة الدعوة . صحيح أنها مواقف صعبة قاسية علي النفوس يتكلف فيها المسلمون أموالاً وذرية ودياراً وأرواحاً . ولكن الله عز وجل يجعل ذلك كله في جانب واستيعاب المسلمين وتعديل مسارهم العقيدي والفكري والواقعي في . جانب آخر .

إنها تربية .. تساوي الحدث وما ينتج عنه .. وتظهر فداحة وعظم هذه القضية الإيمانية فيما لو انتصر المسلمون بعد أن ركنوا إلى أنفسهم وبعد أن قالوا : لن نغلب اليوم من قلة .. إن القرآن الكريم لو ترك مثل هذا الموقف يمر كما تصوره بعض المسلمين لساهم - وحاشا لله ذلك - مع المسلمين في هدم أكبر ركن في عقيدة المسلمين، ركن التوكل على الله وإفراجه بالتصرف والحكم وعدم إشراك غيره معه .. من أهواء .. أو طواغيت ..

وهكذا أسلوب القرآن ومنهج الله عز وجل في تربية المسلمين من خلال الأحداث الكثيرة التي مرت على المسلمين ويكن أن يمر بها المسلمون في مستقبلهم . إنه أسلوب عملي في التربية تعجز المناهج الأرضية عن استثماره كما يفعل القرآن الكريم . ولقد لازم القرآن الكريم الجماعة المسلمة من أول نشأتها حتى قيام الدولة المسلمة بأسلوب التربية بالأحداث ولعل هذا من الحكم الربانية في إنزال القرآن منجماً ليتربى الرعية الأول وكل رعية بعده وسط أحداث متكررة في كل جماعة أو فرد فيستفيد من العلاج الرباني لكل حادثة، وله أن يقيس عليها فالعبرة بعموم

اللفظ لا بخصوص السبب الذي على أثره نزلت هذه الدروس
والعبر والعلاجات.

والأحداث التي استثمرها القرآن الكريم في التربية كثيرة تفوق
الحصر، إلا أنه يمكننا القول أن التربية من خلال الأحداث أخذت
خطين رئيسيين في العهد المكي والعهد المدني ، فكان الاستثمار
التربوي في العهد المكي يركز على تقوية العقيدة وتركيز الإيمان
في النفوس لدرجة الاستعلاء على التعذيب واحتمال الأذى والصبر
عليه.

أما الاستثمار التربوي في العهد المدني فكان المجابهة والقتال
ورد الاعتداءات وتنظيف الصفوف من المنافقين والمتخاذلين.

الوسيلة الثالثة

التربية بالعبادة

إن العبادة هي الوسيلة الشاملة والإطار العام للتربية ، وهي الصلة بين العبد وربّه. يقف أمامه موقف العبودية التي من أجلها خلق الإنسان وبها تحددت غايته في هذه الأرض (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (56)).

والعبادة هي الوسيلة التربوية لصياغة الشاب الرباني في كل تصرفاته. وحين سئل الإمام ابن تيمية عن قول الله عز وجل (يا أيها النسا اعبدوا ربكم) ما العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال : الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين. وصلة الأرحام والوفاء بالعهود . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل. والمملوك من الآدميين والبهائم . والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة " . وكذلك حب الله ورسوله . وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له . والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه. والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة " .

فالعبادة بهذا المفهوم الشامل تحيط الإنسان في حياته كلها من تصرفات وعلاقات ومعاملات وأسلوب حياة، إن ذلك كله عبادة لله عز وجل.

وإن كل ما ذكره الإمام ابن تيمية بعد ذكر الأركان الأربعة من الصلاة والزكاة والصيام والحج ما هو إلا أثر هذه الأركان التي تعقد الصلة بين العبد وربّه فما نتج عن العبادة فهو عبادة لله عز وجل. فالصلاة : أسلوب تربوي لإيجاد الصلة وتوثيقها بين العبد وربّه ، ولذلك فهي ليست أقوالاً ولا حركات للأعضاء والجوارح ، بلا خشوع من القلب ولا تمعن من العقل، بل استحضار لعظمة الله عز وجل استحضار للقلب والعقل والجوارح والأحاسيس ، التي

ينسى وقتها المسلم كل شئ إلا ربه، وهذه هي الصلاة التي كان يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم لبلال أرحنا بها يا بلال. وإلى جانب كونها صلة روحية بين العبد وربّه هي في ذات الوقت أسلوب تربوي في التطهر والتجمل أمام الله كي تتحقق محبة الله لهذا العبد (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين). وإلى جانب هذا فهي أسلوب تربوي للجسم يباشرها المسلم في أول نهاره وأوسطه وآخره بحركات منتظمة متأنية فيها الخشوع والجد. ولما رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يتماوت في صلاته قال له : لا تمت علينا ديننا أمتك الله.

وإلى جانب هذا فهي تعلم المسلم النظام والانضباط والطاعة والانقياد والشعور بالمساواة بين أفراد المجتمع فالنداء لها بوقت وإقامتها بوقت فانظر إلى صفوف المصلين متراسة ، المنكب بالمنكب والقدم بالقدم فلا ترى فرجاً بينهم، فإذا كبر الإمام كبروا وإذا ركع ركعوا . وإذا سجد سجدوا وإذا سلم سلموا . فهل بعد هذا الأسلوب التربوي - لو تمعن فيه المسلم - أسلوب في الانضباط والانتظام.

وبهذه العبادة تتفاعل الروح والجسم والعقل والمشاعر والأحاسيس ، ثم تترجم إلى واقع حلي ملموس في المجتمع وتكون منهج حياة لهذا المسلم (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)¹

والزكاة :

هي الركن العبادي التربوي الثاني من أركان الإسلام. يكفر جاحدها ويخرج من ربة الإسلام ويحارب ما نعها فهي صنو الصلاة كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، واله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه.

¹ -سورة العنكبوت ، آية 45.

والمال بمعناه الشامل - هو ملك لله عز وجل فالمولى تبارك وتعالى هو المالك الحقيقي فإذا بذل الإنسان جهده في الأرض وبذر الحب أو غرس الشجر وسقى بالماء وتعهده ، فما عليه بعد ذلك فإن الله هو الذي يرعى الحبة ، وهو الذي يعطيها خصائصها وهو الذي يكفل لها الحياة والنمو وهو الذي يورق الشجر وينضج الثمر وهو الذي يميتها ويذبلها إن شاء فالأرض أرضه والشمس شمسها والرياح تجري بأمره، وكل ما يستخدمه الإنسان من وسائل إنما مصدره العقل الذي وهبه الله . والأمر كله للمالك (أَفَرَأَيْتُمْ

مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ

الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا

فَطَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (66) بَلْ

نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي

تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ

نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70)¹

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَا صَبَبْنَا

الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26)

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعَيْنًا وَقَصَبًا (28)²

ولهذا فإن الزكاة التي يخرجها المسلم تربية تربية تختلف عن تربية

الآخرين

ولهذا فإن الزكاة التي يخرجها المسلم تربية تربية تختلف عن تربية الآخرين إنه يرى أن هذا المال تحت يده هبة من الله أو عارية ومنحة من الله، يشترك فيه معه غيره، فيتعبد الله فيخرج زكاته إن مالا أو عقارا أو حيوانا أو زرعاً أو غير ذلك، يخرجها وهو

¹ - سورة الواقعة آية 63-70

² - سورة عبس . آية 24-28

يعلم أن هذا واجب وليس تفضلاً، فهو حق معلوم يجب إخراجَه قال تعالى: (وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)¹
(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)²

وبأسلوب الزكاة تتطهر نفس المزكي حين يخرج زكاه ماله امتثالاً وطواعية ويتعود على ذلك حياته، ذاكراً لنعم الله، فتتطهر نفسه وتزكو أحاسيسه وفي نفس الوقت تتطهر نفس مستحق الزكاة فلا يحمل العداة والحقد والحسد لمن بيده المال، وكلاهما له الأجر، الأول على إخراجَه زكاة ماله والثاني على صبره لبلاء الفقر وعفته عما في أيدي الناس. وبالتالي يعود هذا كله على هناء وطهارة المجتمع كله من أسباب الشقاء والتعاسة والضغائن بين القلوب ويصبح المجتمع مجتمعاً مسلماً متكاملًا ينشد رضا ربه وعفو مولاه ÷ ويعمل لدينه وديناه.

والصيام:

امتناع وترك وهو أسلوب من أنجح الأساليب التربوية في سلوك الأفراد.

والأحكام الشرعية إما فعل أو ترك أو تخيير وليس معنى الترك هنا أنه جانب سلبي بل جانب إيجابي إذ هو عمل له حكمة وأجره ومثوبته عند الله، فإنه لا يدع طعامه وشرابه إلا بنية الزلفى من الله عز وجل وربما كان الترك أصعب على النفس من الفعل. وإن العليم الخبير بهذا الإنسان وحاجته هو الذي فرض هذا الصيام في شهراً من السنة. غذاء للروح يسمو بها إلى مرتبة شفاقة وقرب من المولى عز وجل. وأن الصيام ذلك الأسلوب العلمي لتربية الروح. والسمو بها من شهوات النفس من مطعم ومأكَل ومشرب.

وهو أسلوب تربوي لرغبات النفس الإرادية. فمن طبيعة النفس الرغبة للأكل عند الجوع والشرب عند العطش. فلا يمنعه شيء إلا رقابة الله عز وجل عليه فيمتنع ويكف نفسه. ويتغلب على إرادته. ويتكرر ذلك كل يوم على مدار شهر كامل بتعاقب فصول السنة صيفاً وشتاءً لأن حكمة الله اقتضت أن يؤقت الصيام بالسنة القمرية وهكذا تدرج نفس المؤمن على الصبر والتحمل وقوة الإرادة- ولا يكتفى الإسلام بمدة الشهر بل ندب للمسلم الصيام تطوعاً ورغب فيه شعوراً منه بأن الإنسان في حاجة إلى الموازنة بين رغبات نفسه وتحقيق رضى ربه. وحاجته لتقوية إرادته بين الفينة والأخرى، وأشد ما يكون صراع النفس عند الشاب فرغباته كثيرة ونزعاته قوية وأشدّها نزعة الجنس

¹ سورة الأنعام، 141.

² سورة البقرة، 110.

المتكررة. فيصف له النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدواء التربوي الحكيم الناجح يا معشر الشباب: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء". رواه البخاري¹.

وكم هو أسلوب تربوي اجتماعي حكيم حين يشعر الغني بألم الجوع، يحسه في وجدانه وبين جنبيه، فيتذكر أخاه المسلم الفقير في حيه أو بلدته أو في أي بقعة من أرض الإسلام. يشعر بما يشعر به هذا الفقير في أغلب أيام حياته أو في ظروف صعبة تمر به فيرق قلبه ويرهف حسه ويتحرك وجدانه ويمد يد العون باذلاً من ماله طواعية ورضاءً نفس.

ولم يشرع الإسلام الصوم تعذيباً للمسلم ولا عنتاً على نفسه. وإنما شرعه نوعاً من التربية للروح والإرادة وصحة البدن وتعويداً على الصبر، وتحريكاً للنفس. كي تحس وتشعر بما حولها من فقراء ومساكين، في تشبع وهم جائعون، وحتى يصبح المسلم ذاكراً لنعمة ربه، فإن الصحيح لا يعرف قيمة الصحة إلا عند المرض. والشبعان لا يعرف قيمة الشبع إلا عند الجوع. فيتذكر المسلم نعمة ربه في صحته ومرضه وغناه وفقره، ويظل هكذا حياته متيقظ الوجدان حي الضمير. ليعيش لمجموع المسلمين لا لنفسه.

¹ متفق عليه ، انظر مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 794.

والحج:

رحلة تربوية شاملة لأنواع التربية إنها تربية روحية وعقلية. إنها رحلة تذكره بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام فيذكر التوحيد وصفاءه والطاعة والامثال.

فالحج دفعة روحية للمسلم عميقة ترسخ في أعماقه وتعود معه إلى بلدته يستشعر بعدها أنه خلق جديد. وحياته صفحة جديدة يجب أن يملأها بالعمل الصالح دعوة لدينه وإخلاصاً لمعبوده وتضحيته في سبيله واقتفاء لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. إن هذه الشحنة الروحية التي تولدت من مواقف وأحاسيس ودعاء وتضرع وابتهاال، وثقت وقربت صلة هذا العبد بربه وأبرمت عهداً جديداً على تغيير من داخل النفس بالطهر ومن خارجها بالحركة والعمل.

إنه رجع كيوم ولدته أمه " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه"¹.
إنه ولد جديداً على فطرته فلن يدينسها ولن يسخرها إلا لباريها وسيحقق عبوديتها لربه.

والحج تربية بدنية وشعورية. يركب فيها المسلم المشاق ضارباً كبد الأبل أو راكباً للطائرات أو السيارات أو ماشياً قبلته البيت المعمور الكعبة المشرفة فيفارق الأولاد والأهل والأحباب، لا رحلة سياحية حيث الخضرة والهواء الطلق العليل، إنما هي رحلة فيها المشاق والأرض الجرداء والصحراء القاحلة بحرارتها المحرقة أو بردها القارص، ومن حكمة الله أن جعل الحج موقوتاً على حساب السنة القمرية فتأتي أشهر الحج في الصيف أحياناً وفي الشتاء أخرى كالصيام.

والحج تربية شعورية بالمساواة بين المسلمين فلا فرق بين غني أو فقير وأسود وأبيض. الكل تجرد مما يلفت الأنظار فالكل يكبر لا تفرق بينهم. الكل يلبي لا تفرق بينهم. الكل يطوف لا تفرق بينهم. الكل يقف في عرفات ويفيض منها ويعمل الشعائر كلها بلا تمايز ولا تفاصيل.

والحج تربية على السلام والأمن والصفح. فأشهر الحج أشهر حرم يحرم فيها القتال وبيت الله جعله الله آمناً (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)². وفيه يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وجت فيه قاتل أبي ما مسته يدي.

وشمل الأمن فيها متى الحيوان من الطيور والنبات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ)³.

¹ فتح الباري: باب المختصر، حديث 109، والنسائي،: كتاب الحج، حديث 4، وابن ماجه : كتاب المناسك، حديث 3.

² سورة آل عمران، آية 97.

³ سورة المائدة، آية 95.

(وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمُّمُ حُرْمًا)⁴

وكم تكون التربية عميقة حين ترى عدوك قاتل أخيك أو أبيك أو قريب لك فلا تجسر نفسك على قتله حتى مجرد النية. إنها تربية امتناع كترية الصيام.

والحج تربية على الشعور بالمسئولية، ففي تلك البقاع تجتمع الأجناس والألوان واللغات واللهجات من قارات الأرض جمعهم أذان لبيت الله الحرام فلبوا مطيعين، ليشهدوا منافع لهم ومصالح دينية ودينية.

يشهد المسلم هنا أخوه المسلم من كل مكان يلتقون معه في الغاية والهدف من هذه الحياة، ولا بد أن يكون أحدهما محتاجاً للآخر، للارتفاع من ضعف إلى قوة أن من فقر إلى غنى أو من ذل إلى عز. إن المسلم ليحس في هذا الموقف القوة والغنى والعزة، إن طبيعة التجمعات الكبيرة أن توجد هذه المعاني في النفوس، تشدذ الهمة وتدفع الإيمان وتجدد العزم على تحقيق أمر الله - عز وجل - في الأرض وخلافته فيها.

يشهد المسلمون في هذا الموقف -التجميعي الفريد أهم قضاياهم المصيرية الاجتماعية والسياسية- لو أحسنوا وتمكنوا من استغلاله. كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعدهم يفعلون. لأول حجة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بإمرة علي بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب رضي الله عنه يعلن خيراً سياسياً هاماً في حياة المسلمين يعلن على الناس إلغاء المعاهدات التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين الناكثين لعهودهم. ويعلن ألا يحج بعد العام مشرك. ولا يطوف بالبيت عريان.

وكان الخلفاء الراشدون من بعدهم يستفيدون من هذا الاجتماع الكبير فينصفون المظلومين ويأخذون من القوي للضعيف.

حتى جاء أقوام لم يعرفوا من الحج إلا اسمه، ولم يستفيدوا منه لا بشكله ولا برسمه وغدا اجتماع أفراد لا رابط محسوس بينهم ولا هدف واضح لهذا اللقاء يبتغونه. وكم من المسلمين يرجع من هذا اللقاء الكبير وقد تحمل أفكاراً سلبية ومواقف ومشاهد يتحسر أنه لم يرها إلا في هذا المكان الطاهر وفي هذا اللقاء الكبير. إن شهوراً بالمسئولية ينبغي أن يتجدد في نفوس المسلمين فيشعروا بأحاسيس ومتطلبات إخوتهم المسلمين في

كل مكان ويشعروا بمسئولية التغيير لكل ما يعارض شرع ربهم
ونهج نبيهم صلوات الله عليه وسلامه عليه.
* * * * *

الوسيلة الرابعة التربية بإحياء الضمير

التربية بإحياء الضمير ورقابة الله عز وجل وتقواه كان وما يزال أسلوباً تربوياً عميقاً الغور في النفس المسلمة، حساساً مؤثراً كأبعد ما يكون التأثير.

حياة الضمير أن تجعل إله رقيقاً عليك. وأن تكون تقوى الله نبراساً لأعمالك ومثابرك وأحاسيسك وهواجس نفسك. وقد أطنب القرآن في التأكيد على معنى التقوى في مواضع كثيرة كلها تهدف إلى إحياء الضمير المسلم ويقظته واستمرارية هذه الحياة واليقظة ومراقبة الله عز وجل وإخلاص عبوديته والاستسلام له طوعية ورغبة ورهبة.

بل كانت التقوى ومراقبة الله من داخل النفس هي دعوى الأنبياء جميعاً.

قال تعالى: (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ)¹

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ)²

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ)³

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ)⁴

وظاهرة أن نداء الإيمان من الأعماق يوقظ هذا المسلم ويعيده مراراً إلى حظيرة الإيمان فالإيمان مستمر في هذه الحالة لا ينتفي كلياً، وإنما ينتفي وقت ارتكاب المنكر فإن عاد المرء لرشده واستحضر رقابة الله وتكلم قلبه بالتوبة الصدوق فإن الإسلام يعتبر هذه هنة وسقطة ارتفع عنها المؤمن ولذا يروي أبو هريرة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا ينهب نهبه يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن"⁵.

وهاك أنموذجاً واحداً من تلك النماذج المعدة التي توميء لك، كيف يكون العمل التربوي من داخل النفس وكيف تكون صحوة الضمير المسلم وتأنيب النفس حين وقوعها، فيما يغضب الله عز وجل. كيف يستثمر هذا الضعف ويصوغ الإسلام منه منهجاً للجماعة المسلمة حتى لا تقع فيما وقع فيه الغير من المسلمين وبين إن الواقع في مثل ذلك يخل بتوازن الفرد ونفسه المؤمنة

¹ سورة الشعراء، آية 106.

² سورة الشعراء، آية 124.

³ سورة الشعراء 142.

⁴ سورة الشعراء، آية 161.

⁵ فتح الباري: باب الحدود 12/58

ويقدح في شروط الإيمان ومتطلباته وأنه لا بد من التوبة والرجوع إلى جادة الحق وقصد السبيل.

فانظر إلى قصة ماعز والغامدية يرويها مسلم في صحيحه عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله طهرني، فقال: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون؟ فأخبره أنه ليس به جنون. فقال أشرب خمراً فقام له رجل، فاستنكبه فلم يجد منه ريح خمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. أزنيت فقال نعم فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول: لقد هلك لقد أحطت به خطيئته - وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز إنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده على يده ثم قال: أقتلني بالحجارة قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم قال ثم جاءت امرأة من غامد من الأزدي فقالت: يا رسول الله طهرني فقال: ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك قال ما ذاك ترددني.

قالت: حبل من الزنى، فقال: أنت قالت نعم نعم، فقال لها حتى تضعي ما في بطنك قال: فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد وضع الغامدية فقال: إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلى رضاعة يا نبي الله، قال: فرجمها¹

قال ابن حجر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" قيد نفي الإيمان بحالة ارتكابه بها ومقتضاه أن لا يستمر بعد فراغه، وهذا هو الظاهر، وتحتل أن يكون المعنى أن زوال ذلك إنما هو إذا أقلع الكلي، وأما لو فرغ وهو مصر على تلك المعصية فهو كالمرتكب فيتجه أن نفي الإيمان عنه يستمر.²

¹ مسلم بشرح النووي، كتاب الحدود، 11/199، المطبعة المصرية ومكتبتها بمصر، وروي بألفاظ عديدة. وانظر: فتح الباري: كتاب الحدود 12/135، 11/203، 11/192، 11/194.

² فتح الباري: باب الحدود، ج 12، ص 59

أن هذه مثل شامخة تشير لهذا الأسلوب الرباني في التربية إنها تربية من ذات المسلم، من داخله، من ضميره، من ذات نفسه.

كان كل واحد من هؤلاء الناس يستطيع أن يسكت على ما فعل دون أن ينتبه ولا يابه له أحد من أفراد مجتمعة فلا شهود على فعلتهم ولا رقيب من أحد من البشر ولكنهم يريدون أن تتطهر نفوسهم ورضا الله يعمهم وعفوه يشملهم، وأنهم ليتحملون ما فعلوه في أجسادهم وسمعتهم أمام الناس طعماً في هذا الرضا. ولعل الله أن يعفو عنهم فيقبل عقوبتهم كفارة عما اقترفوه فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا قرأ هذه الآية كلها¹ فمن وفي منكم فأجرة على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه²

* * * * *

¹ المراد قوله تعالى: "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يباعدنك على أن لا يشركن بالله شيئاً".
² فتح الباري: باب الحدود، 84 / 11

الوسيلة الخامسة التربية بالموعظة

إن النفس الإنسانية تتفاوت درجات تأثرها بالمسموع منطوقاً ومفهوماً، بالمنظور إحساساً وإدراكاً وتفاعلاً. فقد ينفع مع البعض أسلوب الكلمة الرقيقة الهادئة، يوعظ بها القلب فينفتح وتنتفح أساريره وتتفاعل مشاعره فينعكس على جوارحه وسلوكه في الحياة. وقد لا يكتفي البعض بالموعظة الحسنة. ويطلبون لها شاهداً من الواقع أمامهم. يريدون قدوة يحفزهم همتهم ويشحذونها حتى تتحرك الموعظة في قلوبهم وتنعكس على جوارحهم وسلوكهم في الحياة.

وقد لا تنفع الموعظة البعض الآخر ولا القدوة فتشرع حينئذ العقوبة تنزل بإيثارهم وأجسادهم أو أموالهم فيكون الوقع مباشراً ملموساً فيؤدي نتيجه في الأشخاص من ناحية وفي العبرة لغيرهم من ناحية أخرى.

والموعظة: يعطيها الإسلام جانباً هاماً في توجيهاته ومساحة كبيرة في آيات القرآن تبرز هذا الأسلوب التربوي الواقعي من وقوع المآثم فالعقوبات دنيوية وأخروية.

فإذا أراد الإسلام أن يوجه الناس إلى أداء الأمانات إلى أهلها، وإلى الحكم العدل بين الناس فانظره كيف يخاطب القلب (إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)¹

وفي علاج نشوز الزوجة يبدأ القرآن بالموعظة (وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ)²

والنهي عن الوقوع في الفحشاء والمنكر (وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)³

وبين أن الوعظ كان لمن دخل الإيمان قلبه (ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)⁴

وبين أن العقوبة لمن لم تنفع معه الموعظة وأن الموعظة ينتفع بها المتقون (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)⁵

وبين أن الاكتفاء بالموعظة بداية جديدة للمؤمن التائب إلى الله (فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ)⁶

¹ سورة النساء، 58.

² سورة النساء، 34.

³ سورة النحل، 90.

⁴ سورة الطلاق، 2.

⁵ سورة البقرة، 66.

⁶ سورة البقرة، 275.

يبين أن الموعظة شفاء لصدور الناس جميعاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ)¹

وأنها سبيل الدعوة إلى الله، تنفع في جلب الناس لهذا الدين، بل إنها أساس الدعوة لجلب قلوب الناس وتأليف أفئدتهم (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)²

تم يبين الله عز وجل أنها فعلاً من الأساليب التربوية الدعوية التي يجب الالتفات إليها فيقول عز وجل من قائل (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)³

ويبين أن الأخذ بالموعظة أنفع للناس من العقوبة التي تضر أبدانهم وأبشارهم (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ)⁴

بل إن القرآن يبين بوضوح أن كل ما أنزله الله من تشريع وحكم ونظام إنما يراد له موعظة الناس التي هي مدخل رضا الله عز وجل وسبب استحقاق الثواب منه تبارك وتعالى فيقول عز من قائل (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ)⁵ وقال تعالى: (بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)⁶

وانظر كيف يسطر القرآن الموعظة كأسلوب تربوي توجيهي بالغ الفعالية ينتظم حياة المسلم بكل مراحلها. فيحدد علاقة المؤمن بوالديه وأفراد مجتمعه ويحيي فيه رقابة الله عز وجل. ويبين له منهج التحرك بين الناس والدعوة إلى الله عز وجل. فهذه وصية لقمان لابنه يعظه دون أن يمد يده بالضر أو الإهانة ويسكب تلك المعاني الإيمانية الحية المنجية من المهالك والشرك فيتعظ معه في قوله تعالى على لسان لقمان عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي شَامِئِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَأَقِصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19))⁷

ويتخذ القرآن من الموعظة وسيلة متنوعة المظاهر فأحياناً عن طريق القصة أو عن طريق الترغيب والترهيب أو عن طريق عرض المشاهد الكونية وإعجازها.. إلى غير ذلك من ضروب

¹ سورة يونس، 57.

² سورة النحل، 125.

³ سورة النور، 34.

⁴ سورة النساء، 66.

⁵ سورة البقرة، 231.

⁶ سورة آل عمران، 138.

⁷ سورة لقمان، 13- 19.

يستثمرها القرآن ليصيغ منها الموعظة المؤثرة تربوياً وسلوكياً.
وليس هذا مقام التفصيل بقدر ما هو بيان للإطار العام في التربية
عن طريق الموعظة.

الوسيلة السادسة

التربية بالترغيب والترهيب

الإنسان مفطورة نفسه على الرجاء والخوف، فإذا رغبت في أمر استعدت للإقدام عليه، وتحفزت للفوز به، وإذا خافت من أمر تهيات للإحجام عنه وتحفزت للنفور منه. وعلى ذلك فقد تحمل التحمل النفس البشرية على فعل أمر ترغيباً فيه، وفي نفس الوقت يكون ترهيباً من خلافه. وقد تقدم النفس على أمر ترغيباً فيه طواعية دون حاجة إلى ترهيب من تركه وكذلك الترهب قد يؤدي دوره في ترك أمر ما دون حاجة إلى ترغيب في خلافه.

لكن الملاحظ ازدواج الترغيب والترهيب كأسلوب واحد "فالرجاء والخوف خطان متقابلان من خطوط النفس، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه".

فالنفس -بطبيعتها- تخاف وترجو، هكذا ركب في فطرتها، يولد الطفل وفيه هذان الاستعدادان متجاوران، يخاف الظلمة وخاف الوحدة ويخاف السقوط ويخاف الاصطدام ويخاف المناظر التي لم يألها، والأشخاص الذين لم يألهم.. ويرجو... يرجو الأمان والراحة والدفع والاستقرار في حضن أمه وهو يرضع، وبعد ذلك في حضن أمه وفي حجر أبيه وفي يدي من يستريح إليهم من الناس، وينمو الطفل وينمو معه هذان الخطان المتقابلان ويتنوع الرجاء.

والخوف والرجاء بقوتها تلك وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه. يوجهان في الواقع اتجاه الحياة، ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف... وعلى قدر ما يرجو، ونوع ما يرجو... يتخذ لنفسه منهج حياته، ويوفق بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف الذي يخاف الموت... لا يقدم، والذي يخاف الفقر يجعل همه المال. والذي يخاف السلطان يتحاشى كل عمل يعرضه للصدام، والذي يخاف الألم أو الهزيمة يفر من المعركة، معركة الحياة الكبرى، ونحسر بنفسه عن المغالبة والاقترام، والذي لا يخاف شيئاً من ذلك كله فهو متحرر منه، طليق من ضغطه عليه، مقتحم متمكن غالب. والتربية الناجحة توقع على هذين الوترين ما يربي النفس، ويشفيها من انحرافها. ويقويها ويقومها، ويضعها في وضعها الصحيح"¹.

ولقد استخدم الإسلام الترغيب والترهيب كوسيلة تربوية استخداماً لا يمكن أن يصل إليه منهج من مناهج البشر. لأنه توجه

¹ انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص 155 وما بعدها.

ينبني على حاجة النفس الفطرية وما ترغبه النفس وترهبه. وهذا أمر خفي على بني الإنسان فقد يتوهم الإنسان أمراً يخافه وينفر منه وفيه في ذات الوقت مصلحة، قد لا يدركها في نظره القريب. وقد يتوهم أمراً يرغبه ويتقرب منه وفيه في ذات الوقت مضرة قد لا يدركها في نظره القريب.

ومن هنا احتاج توجيه الإنسان بالترغيب والترهيب إلى دراية أولى بدخيلة هذه النفس وفطرتها. وليس لغير الله ذلك (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)¹

وعلى ذلك فقد استخدم الإسلام من خلال القرآن والسنة أسلوب الترغيب والترهيب بمعنى خاص نستطيع تحديد كل منهما بأن الترغيب: هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور ما وترك خلافة.

والترهيب: هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور ما.

وقد ربط الإسلام الترغيب والترهيب كأسلوب مزدوج مع هدفه التربوي السامي وهو إيجاد الإنسان الصالح المصلح بما يحقق رضاء الله عز وجل ويكون سبباً في قربه من الجنة فيها وبعده عن النار المرهب منها.

وقبل أن يزاول الإسلام استعمال هذا الأسلوب فإنه اهتم اهتماماً كبيراً في تصحيح التصور الإنساني للقضايا، فأعطى تصوره للحياة الدنيا والآخرة وتصوره للوجود وللحياة والموت وللغنى والغنى والحب والبغض وغير ذلك من القضايا التي انحرف تصور الناس وفقاً لمناهج حياتهم وتفكيرهم وتصورهم للكون والحياة والوجود... فالموت والحياة بيد الله الذي ينبغي أن يقدم رضاه على خوف الموت ورجاء الحياة وبوضعنا في هذا الميزان (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ)² وبوقظ في حس المسلم الارتباط بالله والخوف منه وحده (تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَبَدَّةٍ)³

فالموت ينبغي أن يوضع في هذا الإطار فلا يكون سبباً للخوف بل قد يرغب الإسلام فيه إذا كان طريقاً للشهادة في سبيل الله وقد يرهب ويخوف من الحياة الدنيا من أن تكون هدف الإنسان وهمه وينمي في حس المسلم أن تكون حياته معبراً لآخرته (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَرَبُّهُمُ وَقَعَارٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَكُمُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ تَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ)⁴

¹ سورة الملك، 14.

² سورة ق، 43.

³ سورة النساء، 78.

⁴ سورة الحديد، 20.

حَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ⁵
 اللَّهُ يَسُسُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَقَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
 الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ²
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى
 الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ³
 وهكذا... شأن الإسلام في كل القضايا التي تختلف تصورات
 البشر فيها يعطي فيها تصوره من خلال الآيات والأحاديث، التصور
 الضروري لتحديد أسلوب التأثير التربوي بعد ذلك في الترغيب أو
 الترهيب أو هما معاً مما لا يسع بسطه هنا⁴
 ثم إن الإسلام يستخدم الترغيب والترهيب كأسلوب وقائي
 يحذر المسلم من أن يقع فيما يغضب الله ويبعده عن جادة
 الصواب ويتخذ سبيلاً غير سبيل المؤمنين. يوجهه القرآن والسنة
 من مغبة إتباع النفس وهواها.
 وغالب الترغيب والترهيب في القرآن مرتبط بنعيم الدنيا
 والآخرة.

الترغيب:

فيرغب القرآن بالإيمان وجزائه فيقول (قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ
 الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّبَاغِينِ وَمَنْ
 يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)⁵
 ويرغب في الإيمان أيضاً في استخلاف المسلم في هذه
 الحياة الدنيا (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 حَوْفِهِمْ أَمْنًا)⁶
 ويقول تعالى في الترغيب بالإيمان ليكون سبباً في الرزق
 والبركة (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)⁷
 ويرغب فيما عند الله من جنات نعيم ترغيباً يؤثر في النفس
 لتعكس ذلك سلوكاً ونمطاً من الحياة يتفق والتربية الإسلامية
 الراشدة التي يتغياها الإسلام فيقول عز من قائل (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)⁸

⁵ سورة الملك، 2.

² سورة الرعد، 26.

³ سورة التوبة، 38.

⁴ راجع في هذه التصورات على وجه التفصيل: دراسات في النفس الإنسانية للأستاذ محمد قطب، ص 76 وما بعده، طبع دار
 القلم بمصر، وخصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب، فصل: تيه وركام، ص 24-48. الطبعة الثالثة 1388هـ-1968م.

⁵ سورة التباغين، 8-9.

⁶ سورة النور، 55.

⁷ سورة الأعراف، 96.

⁸ سورة البقرة، 82.

(يَا عِبَادِ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آمَنُوا يَا أَيُّهَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ)¹

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ)²

(الَّذِينَ يُوفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّبِيحَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)³

ومن السنة في الترغيب بالجنة وما أعده الله للمؤمنين كثير جداً منه ما روي عن محمد "ابن سيرين" رضي الله عنه قال: "إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال في الجنة أكثر من النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر. والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب"⁴

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر. ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة. ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون ولا يببولون، ولا يتمخضون ولا يبرزون، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألوة"⁵ ورشحهم المسك. أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم. ستون ذراعاً"⁶

وما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة: فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك. فيقولون: يا رب أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني. فلا أسخط عليكم بعده أبداً"⁷

وعني أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من يدخل الجنة ينعم لا يبأس. لا تبلى ثيابه. ولا يفنى شبابه"⁸

¹ سورة الزخرف، 68-70.

² سورة محمد، 15.

³ سورة الرعد، 20-24.

⁴ مختصر صحيح مسلم للمنذري، حديث رقم 1956.

⁵ هو العود الهندي يتبخر به، وهذا بخلاف مجامر الدنيا فإن وقودها الحطب، ومجامر الجنة وقودها العود الذي يتبخر به.

⁶ مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 1957.

⁷ مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 1957.

⁸ مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 1964.

وإذا كان الإسلام بمنهجه التربوي في الترغيب يكثر من ذكر الجنة والعمل لها فإنه في نفس الوقت يرغب في السبل المؤدية لها فيرغب بالصدق والأمانة والإخلاص والجد والكرم والشجاعة والبر والإحسان والعفة والنزاهة وما إلى ذلك من كل ما يؤدي الترغيب فيه إلى تمثيل وامتثال وأداء وتنفيذ في محيط الفرد والأسرة والمجتمع مما يخدم الغرض من التربية في هذا كله وهو إيجاد المسلم الصالح المصلح وتحقيق رضاء الله عز وجل.

الترهيب:

وهو أسلوب غالباً ما يستخدمه القرآن الكريم كأسلوب تربوي ووسيلة مؤثرة في النفوس تحمل على الخوف من الإقدام على ما يجلب سخط الله عز وجل. وكثيراً ما يربطه القرآن الكريم بالآخرة وما أعد الله فيها للعاصين من نار وأنواع من العذاب في ذكرها وتشخيصها تخويف يحمل على استدراك المرء نفسه في الدنيا للنجاة منها في الآخرة.

قال تعالى: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)¹

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)²

(كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)³

(وَلَوْ تَرَى إِذُ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)⁴

(قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أصَلُّونَا فَآتَيْهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ)⁵

(يُبَصِّرُوتَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدِي مِنَ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِيهِ وَأَخِيهِ (12) وَقَصِيلَتِيهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (14) كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى (15) تَرَاغَةً لِلشَّوَى (16) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)⁶

(كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطَمَةُ (5) تَارَ اللّهِ المَوْفِدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْنِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤَصَّدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ)⁷

ويستخدم القرآن الترهيب أيضاً مما قد يلحق الإنسان في حياته الدنيا وأن يأخذ العبرة في ذات الوقت بالأقوام السابقين وما صنع الله فيهم حين عصوا الله وأشركوا واستكبروا وعصوا الرسل

(فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِعَيرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَنشَدُ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَنشَدُ مِنْهُم قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً صَرْصِراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لَّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (16) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فَآخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)⁸

(أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البِئْرِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً)⁹

¹ سورة آل عمران، 131.

² سورة البقرة، 24.

³ سورة البقرة، 39.

⁴ سورة الأنعام، 27.

⁵ سورة الأعراف، 38.

⁶ سورة المعارج، 11-17.

⁷ سورة الهمزة، 4-9.

⁸ سورة فصلت، 15-19.

⁹ سورة الإسراء، 68-69.

(كَدَّبَتْ تَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا تَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَّابِيَةً¹)

وهذا ماثوث في القرآن في مواطن كثيرة يريد القرآن بها أن يرهب من الناس من تسول له نفسه الانحراف سواء كان فرداً أو جماعة أو سلطة، ويقرر العقاب المتوقع في الدنيا والآخرة فيرتدع به من أوتى العقل السليم حين يقارن بين ما يحصل عليه من متاع قريب وما ينتظره من ويل وهلاك وعذاب أليم.

وكذلك السنة تواكب القرآن في ترهيب الناس من النار وما أعد الله فيها للعاصي والطاغين وأمثالهم. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً"²

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه -يحدث عما تأخذه النار من المعذبين- إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته³ ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته"⁴

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "صنفان من أهل النار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات، جميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"⁵

وإذا كان الإسلام بمنهجه التربوي في الترهيب يكثر من ذكر النار والترهيب منها، ويحث على العمل فيما يجنب الإنسان سعيرها فإنه يرهب في نفس الوقت من كل ما يؤدي إليها بصفة شاملة لكل ما يغضب المولى تبارك وتعالى، فيخوف من الظلم والجبروت والكذب والخيانة والسحت والبخل والانحراف وعقوق الوالدين والشرك وما إلى ذلك من محاذير قد تكون سبباً في القرب أو الولوج في النار وعذابها.

ولذلك جمع النبي صلى الله عليه وسلم مفهوم الترغيب في الجنة وصفة وسائلها المؤدية إليها، فيما يرويه أنس بن مالك رضي

¹ سورة الحاقة، 4- 10.

² مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 1978.

³ أي إلى حلقه.

⁴ والترقوة: العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبيين، راجع: مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 1979.

⁵ مختصر صحيح مسلم، حديث رقم 1984.

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"¹ ونستطيع القول بعد هذا كله إن أسلوب الترغيب والترهيب يتبعه القرآن الكريم كأسلوب رئيسي في الحث على فعل الأوامر واجتناب النواهي، وهل الدين إلا أمر ونهي، وبذا يكون هذا الأسلوب من أشمل الأساليب التربوية في الكتاب والسنة² وحينما يهتم الإسلام بهذا الأسلوب كل هذا الاهتمام فلأنه أسلوب عميق التأثير في القلوب والنفوس البشرية لأنه يحرك فيها فطرتها نحو الخير ويستثير فيها الإقدام على فعله، ويبغض لها الشر ويستثيرها في حربه والإقلاع عنه. فالصلة إذن مباشرة بين هذه الوسيلة وبين القلوب تحرك فيه المشاعر ليصيغ الإسلام منها بعد ذلك منهجاً تربوياً ينعكس على دنيا الواقع بإيجابية رافعة ودافعة للمسلم وأسرته ومجتمعه ودولته.

* * * * *

¹ مختصر صحيح مسلم ، حديث رقم 1969.
² راجع ما ورد في أنواع متعددة مما فيه ترغيب وترهيب كتاب: الترغيب والترهيب للحافظ المنذري 1 ومختصره للحافظ ابن حجر العسقلاني.

الوسيلة السابعة التربية بالعقوبة

قد لا تجدي الموعظة بعض الناس، ولا تؤثر القدوة أمامهم ولا القصة فيهم ولا الترغيب ولا الترهيب فتقطع صلة قلوبهم بالله عز وجل، فتعمل في هوى النفس وشهواتها وفي الظن غياب رقابة الله عليهم أو التهاون فيها وهذا الصنف لابد وأن يؤخذ على يده ويسد باب مفسدته ويحمي المجتمع منه من انتشار رذيلته ولتحقق المصلحة والمنفعة العامة للمجتمع المسلم في مقابل مصلحته الخاصة. وقد اتبع الإسلام في هذا الأسلوب نوعين من العقوبات الحدود والتعازير¹. وأياً ما كان فإن العقوبة سواء كانت حداً أو تعزيراً فإننا ننظر إليها من جهة كون العقوبة أسلوباً متبعاً في منهج التربية الإسلامية إنه الأسلوب الأخير الرادع لصنف من الناس عجزت الوسائل التربوية السابقة أن تصل إلى قلوبهم فأصبح الأسلوب موجهاً إلى أبدانهم وأبشارهم ومعنوياتهم. سواء كانت ضرباً وقطعاً أو جرحاً وهو علاج في سائر الأحوال وإن كان فيه حذر خاص إلا إنه غير منظور له في سبيل تحصيل نفع عام ودرء مفسدة عامة. فالقتل قصاصاً مثلاً - فيه إزهاق نفسين وعلاج للقتيل بالقتل فكأنه نقص لأفراد المجتمع. بيد أن هذا نقص في الظاهر أما الحقيقة فإن القصاص هنا يؤدي إلى الإبقاء على حياة الآخرين وحفظها من جنابة الجاني فإنه قد اعتدى على حق غيره في الحياة فالقتل علاج وفاء لجنابته، وهو لم يعتد على فرد واحد في المجتمع في الحقيقة وإنما اعتدى على أفراد المجتمع كلهم وما هذا الشخص المعتدى عليه إلا واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم ولذا يقول الباري عز وجل: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ تَفْسًا بِغَيْرِ تَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)²

ولو ترك هذا الجاني دون عقوبة لفتح باب المفاسد على مصراعيه، فيتمادى في غلوائه ويقتفي أثره مرضى القلوب وضعفائه.

¹ والفرق بين الحد والتعذير: أن الحد عقوبة مقدرة بحكم شرعي من كتاب أو سنة، تجب حقاً لله تعالى: وجرائم الحدود هي: السرقة وقطع الطريق والزنا والقذف وشرب الخمر والردة والبغي على خلاف فيه ويدخل في الحد القصاص بكل ضروب لأن العقوبة في القصاص تكون مقدرة إلا فيما لا يمكن تقديره كبعض الجروح، وإن كان الإطلاق دائماً في الحدود على ما يكون حقاً لله تعالى.

أما التعذير فإنه عقوبة غير مقدرة تجب حقاً لله أو لأدمي في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة وهو كالحدود في أنه تأديب استصلاح وزجر.

راجع تفصيل ذلك في: العقوبة في الفقه الإسلامي، محمد أبو زهرة ص 8، والتعزير للدكتور عبد العزيز عامر، ص 52 سورة المائدة، 32.

ولما كان في العقوبة مساس بالأبدان والمعنويات فإن الإسلام لم يكتف بكون المصلحة التي يحميها الإسلام مجرد مصلحة دون ضبط لها، بل حدد هذه المصالح التي يعاقب الإسلام على انتهاكها بخمس مصالح: مصلحة حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

لأن حياة الإنسان إنما تقوم على هذه المصالح الضرورية الخمس، وكل من يهددها فإنما يهدد حياة الإنسان على هذه الأرض.

فالدين: هو غذاء الإنسان المعنوي الروحي على هذه الأرض، هو الصلة بين العبد وربّه وهو السبيل لنزع الخلافات بين الناس وهو السبيل لحاكمية الله المطلقة، ومن أجله جاء الأنبياء والمرسلون ليبينوا للناس أصول دينهم ويعيدوهم لله عز وجل بالطريق الذي يريده المولى عز وجل. فمن هدد الناس في معتقداتهم فقد أتى كبيراً ووجب إيقافه عند حده وتربيته بالعقوبة الزاجرة التي تتناسب ونوع اعتدائه.

وأن المحافظة على النفس أن تزهق بغير حق وسلامة أعضاء الإنسان من التشويه أو القطع والابتذال أمر يهم كل إنسان يريد حفظ كرامته وإنسانيته ويأنف ويربأ أن يعتدي عليه أحد في نفسه أو أعضائه، ولذا حق عقاب من اعتدى على هذا الحق (وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)¹

والعقل: سبيل العزة والكرامة والتقدم والنمو والرقي والمكانة العالية المرموقة في المجتمع والسبيل الوحيد إلى استنباط الأحكام والاجتهاد في أمور الدنيا والدين، بل التكليف مناطه به، فكل اعتداء على العقل بذهابه أو غيابه مطلقاً أو مؤقتاً بخرم أو بغير ذلك يستحق فاعله عقوبة تتناسب وجرمه.

والنسل: سبيل الحفاظ على العنصر البشري وعمارة الأرض، واقتضت حكمة الباري عز وجل أن تكون الأسرة النواة الأولى لبناء المجتمع ووسع له الأسس الكفيلة بحفظ الأنساب وعدم اختلاط المياه. فمنع العلاقات غير الشرعية وحرّمها فشرع عقوبة الزنى والقذف وعقوبات هتك العرض وكل ما فيه إخلال بحرمة النسل والعرض.

والمال: سبيل التبادل بين مصالح الناس وقوة الأمة ومنعتها، وسبيل لتحقيق سعادة الناس ورفاهيتهم، فاقتضت حكمة الباري سن الشرائع في التعامل وتوزيع المال بين أفراد المجتمع بطريقة

¹ سورة المائدة، 45.

تضمن حق الملكية الفردية مع مراعاة حق الجماعة، وشرع العقوبات على تعدي الغير على هذا الحق.
وفي ذلك يقول الإمام أبو حامد الغزالي في بيان مصالح العباد "ونعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة. وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة. وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات فهي أقوى المراتب في المصالح، ومثاله قضاء الشرع بقتل الكافر المضل وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته فإن هذا يفوت على الخلق دينهم وقضاؤه بإيجاب القصاص إذ به حفظ النفوس، وإيجاب حد الشرب إذ به حفظ العقول التي هي ملاك التكليف، وإيجاب حد الزنى إذ به حفظ النسل والأنساب وإيجاب زجر الغصاب والسراق إذ به يحصل حفظ الأموال التي هي معاش الخلق وهم مضطرون إليها وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليها ملة من املل وشرعية من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق. ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنى والسرقه وشرب المسكر"¹

فالإسلام إلى جانب كونه عقيدة فهو أيضاً شريعة وهو حين يقرر العقوبة كأسلوب للتربية فإنما يشمل بذلك عقوبة الدنيا والآخرة ويجعل عقوبة الآخرة مبينة على المقاصد دون النتائج² ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرتها إلى ما هاجر إليه"³

يلاحظ أن العقوبات في الإسلام -خصوصاً في الزنى- إنما وقعت على بعض أفراد المجتمع المسلم ممن اعترف بجريته بعد أن استيقظ ضميره وقويت رقابته لله فخاف عقوبة ربه في الآخرة فقد جسده ليقضي منه في الدنيا عسى الله أن يستره يوم القيامة ففضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

¹ المستصفي للغزالي 1/ 286-288 مؤسسة الحلبي، طبعة بالآؤفست.

² ويضرب ابن القيم رحمه الله مثلاً لبيان أن الأحكام الشرعية تبنى على المقاصد دون النتائج فيما يتعلق بالحكم الآخروي: برجل صوب سهما على ثعبان بجواره رجل نائم، فأصاب السهم الرجل دون الثعبان: ومات الرجل حيث كان يريد نجاته من الثعبان، فإن هذا الرامي مئوب أمام الله بقصده ومعاقب في الدنيا بخطئه، وإذا كان الرامي عدواً للثعبان فأراد قتله ليحتج بأنه أراد قتل الثعبان وصوب السهم فأصاب الثعبان ونجا الرجل، فإنه أثم أمام الله بنيته وقصده ولا لوم يوجه إليه، بل يوجه إليه الثناء والكلام الطيب.

ويتكلم ابن حزم في رجل ذهب ليزنى، فارتكب العمل مع امرأة تبين أنها امرأة له، فإنه لا حد عليه في الدنيا، لأنه أصاب في الظاهر موضعاً حلالاً، وإن كان في النية زانياً ولذلك يعاقب عقوبة الزاني في الآخرة، ومثله في ذلك كمثل من يرتكب جريمة لا يعلم بها إلا الله، ولم يتقدم معترفاً بها، فإنه لا تقع عليه عقوبة أهل الدنيا، ولكن لا ينجو من عقاب الله إلا أن يتوب توبة نصوحاً، فإن الله "يقبل التوبة من عباده ويعفو عن كثير" انظر العقوبة للشيخ محمد أبو زهرة ص 57

³ سورة مختصر صحيح مسلم للمنذري، بتحقيق الشيخ ناصر الألباني 2/ 47 حديث رقم 1080.

* * * * *

خاتمة

وهكذا يتكامل البناء التربوي في المنهج الإسلامي، بناء يقوم على أساس من العقيدة الراسخة والتصوير السليم والتوجيه الرباني الحكيم. وتظهر من خلال ذلك لا نظرية تربوية إسلامية- بل أصول تربوية ثابتة. تقصر مناهج الأرض قاطبة عن اللحاق بها. وتقف دونها ترمقها كما يرمق الطفل الرجل الضخم الطوال. لا لشيء إلا لأن تلك المناهج من صنع الله تبارك وتعالى خالق البشر وفاطرهم. والعالم بما يصلحهم ومنا يضرهم. ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم الذي " لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " فيتمثل هدى وتوجيه القرآن الكريم، ويقتفي الناس أثره قدوة حية شاخصة في حياته وسنته بعد مماته.

وفي هذا المنهج التربوي الإسلامي الفريد تكمن سعادة البشر وهناؤهم وتكمن فيه حريتهم الحقيقية، حرية الفطرة السليمة الراشدة لا حرة الأهواء والشهوات الهابطة القاتلة. فهو المنهج الوحيد الذي يخاطر ملكات الإنسان كلها... فيخاطب عقله وروحه وجسمه... ثم ينسق بين هذه الملكات والطاقات ويحدد لكل حاجته وكفايته دون افتيات ولا زيادة ولا نقص فيوحد حينئذ التربية والتوجيه بما يضيف على الفطرة السعادة والطمأنينة لينعكس ذلك بعد... إلى واقع نظيف يزاول فيه الناس حياتهم وجوهر وجودهم... تحقيق العبودية لله عز وجل. ونقل هذه العبودية بالتربية والتعليم إلى الأبناء والأجيال... حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المحتويات

صفحة	الموضوع
.....	وسائل التربية الإسلامية
.....	الوسيلة الأولى : التربية بالقُدوة
.....	الوسيلة الثانية : التربية بالأحداث
.....	الوسيلة الثالثة : التربية بالعبادة
.....	الوسيلة الرابعة : التربية بإحياء الضمير
.....	الوسيلة الخامسة : التربية بالموعظة
.....	الوسيلة السادسة : التربية بالترغيب والترهيب
.....	الوسيلة السابعة : التربية بالعقوبة
.....	الخاتمة